

اسم المقرر
العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة
د. محمد عبد الحميد القطاونة



جامعة الملك فيصل
عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد

المحاضرة الثانية



عناصر المحاضرة

- خصائص العقيدة الإسلامية
- منهج الاستدلال على مسائل العقيدة عند السلف



خصائص العقيدة الإسلامية

يقصد بخصائص العقيدة صفاتها البارزة المميزة لها عما سواها من العقائد والمذاهب الأخرى. وهنا سوف ندرس بمشيئة الله كل خاصية من خصائص العقيدة الإسلامية من حيث المعنى، والأثر، والدليل عليها، وهذه الخصائص كثيرة، من أهمها:

1- أنها ربانية المصدر:

إن العقيدة الإسلامية مصدرها وحي إلهي رباني، وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة وإجماع السلف، ولهذا يجب أن يوقف بها عند الحدود التي بينها الوحي، فلا مجال فيه لزيادة أو نقصان، أو تعديل أو تبديل، إذ أن هذا الوحي تلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم ليهتدي به، ويدل عليه.

وهذه الخاصية لا توجد في مذاهب العقائد والطوائف الأخرى، الذين يعتمدون على العقل والنظر أو علم الكلام والفلسفة أو الإلهام والكشف، أو الرؤى والأحلام، أو عن طريق أشخاص يزعمون لهم العصمة غير الأنبياء (أو يزعمون إحاطتهم بعلم الغيب) من أئمة أو رؤساء أو أولياء أو نحوهم، وغير ذلك من المصادر البشرية الناقصة التي يُحكمونها أو يعتمدونها في أمور الاعتقاد.

وتورث هذه الخاصية عصمة الأمة من الخطأ والزلل والانحراف، لأنها تستند على الوحي من الله.

ودليل هذه الخاصية قوله عز وجل: **”وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا“** المائدة: ٣.



2 - الوضوح وموافقة العقل الصحيح والفطرة السليمة:

تمتاز العقيدة الإسلامية بالوضوح والبيان، وخلوها من التعارض والتناقض والغموض، والتعقيد في ألفاظها ومعانيها، لأنها مستمدة من كلام الله المبين. وهي تتلخص في أن لهذه المخلوقات إلهاً واحداً مستحقاً للعبادة هو الله تعالى الذي خلق الكون البديع المنسق وقدر كل شيء فيه تقديراً ، وأن هذا الإله ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد ، فهذا الوضوح يناسب العقل السليم لأن العقل دائماً يطلب الترابط والوحدة ولقد أفنى كثير من الفلاسفة وأهل الكلام من المسلمين أعمارهم في مهاجم العقليّة المجردة حتى وقعوا في الحيرة والشك والندم، ثم رجعوا إلى منهج الكتاب والسنة والذي يؤكد وضوح العقيدة الإسلامية أيضاً أنها ليست مناقضة للعقول الصحيحة، وليست غريبة عن الفطرة السليمة ، بل هي على وفاق تام وانسجام كامل معها. وتورث هذه الخاصية السلامة من الاضطراب في الدين، ومن القلق والشك والشبهات، وتحفظ أوقات الأمة من إهدارها في أشياء غير نافعة توسد أصحابها أكف الحيرة. ودليل هذه الخاصية: قوله تعالى: **” أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ”** الملك : ١٤ .



3- الثبات والدوام :

العقيدة الإسلامية ثابتة دائمة، بمعنى أنها متفقة ومستقرة ومحفوظة، في ألفاظها ومعانيها، تناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، لم يتطرق إليها التبدل ولا التحريف، ولا التلفيق ولا الالتباس، ولا الزيادة ولا النقص .
وسبب هذا هو ثبوت مصادرها ودوامها لأن الله تعالى تكفل بحفظها فهي عقيدة ثابتة ومحدده لا تقبل الزيادة ولا النقصان، ولا التحريف ولا التبدل.

فليس لحاكم أو مجمع من المجامع العلمية أو مؤتمر من المؤتمرات الدينية ليس لأولئك جميعاً ولا لغيرهم أن يضيفوا إليها شيئاً أو يحذفوا منها شيئاً وكل إضافة أو تحوير مردود على صاحبه بقول النبي صلى الله عليه وسلم " : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " متفق عليه.

وتورث هذه الخاصية :ضمان توحيد كلمة الأمة على منهج واحد وتصور واحد، عندما تلتقي على الوحي الإلهي بما فيه من موازيين لا تضطرب ولا تتأثر بالأهواء
ودليل هذه الخاصية :قول الله تعالى : **" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "** الحجر : ٩



4- الشمول والتكامل :

إن العقيدة الإسلامية عقيدة شاملة فيما تقوم عليه من أركان الإيمان وقواعده، وشاملة في نظرتها للوجود كله، تعرفنا على الله، والكون والحياة والإنسان معرفة صحيحة شاملة. ومن صور شمولها أنها لا تختص ببيئة أو عصر أو جنس، بل هي عقيدة عامة كتب الله لها البقاء إلى قيام الساعة .

وهي مع هذا الشمول مترابطة ارتباطاً وثيقاً، فأركان الإيمان مثلاً لو حصل الكفر بواحد منها أو إنكار له، حصل الكفر بهم جميعاً. وهذه الخاصية تورث حفظ العبد المسلم من الاتجاه لغير الله في أي شأن من شؤونه، أو قبول أي سيطرة تستعلي عليه بغير سلطان الله ودليل هذه الخاصية: قوله تعالى: **” قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ”** الأنعام: ١٦٢



5- أنها عقيدة مبرهنة:

تتميز العقيدة الإسلامية بأنها عقيدة مبرهنة تقوم على الحجة والدليل ، ولا تكتفي في تقرير قضاياها بالخبر المؤكد والإلزام الصارم، بل تحترم العقول، فالقرآن الكريم حين يدعو الناس إلى الإيمان بمفردات العقيدة يقيم على ذلك الأدلة الواضحة من آيات الأنفس والآفاق ، فلا يدعوهم إلى التقليد الأعمى أو الإلتباع على غير هدى، بل إنه يأمرهم أن يطلبوا البرهان والدليل، ويدعو إلى التبصر والتعقل إلى حد لا يصل إلى الغلو في العقل والتوغل فيه.

وتورث هذه الخاصية قوة اليقين في نفوس أصحابها بما معهم من الحق، فتقوى صلتهم بالله، ويكمل تحقيقهم العبودية له وحده.

ودليل هذه الخاصية: قال تعالى: **” قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يوسف: ١٠٨ .**



منهج الاستدلال على مسائل العقيدة عند السلف

أولاً : من هم السلف؟

السلف الصالح : المراد بهم (كحقبة تاريخية) الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون وأتباعهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة، ممن عظم شأنهم، وتلقى المسلمون كلامهم بالرضا والقبول.

ثم أصبح مذهب السلف علماً على ما كان عليه هؤلاء من التمسك بالكتاب والسنة، وتقديمهما على ما سواهما، والعمل بهما على مقتضى فهم الصحابة.



ثانياً : منهج السلف في الاستدلال على العقيدة:

يقوم منهج السلف في الاستدلال على العقيدة على الأسس التالية:

1-الإيمان بالنصوص الشرعية وتعظيمها:

آمن المسلمون بأن الله تعالى ربهم، ومليكمهم، أرسل الرسل لهدايتهم، وأنزل معهم الكتاب والميزان، فما أخبر به الرسول عن الله، فالله أخبر به، وما أمر به الرسول، فالله أمر به، وهو العليم الحكيم.

وذكر أهل العلم أن الإيمان بنصوص الكتاب والسنة على ضربين:

أحدهما: إيمان مجمل، وهذا من فروض الأعيان، فيجب على كل مسلم الإيمان بنصوص الكتاب والسنة، وإن لم يفهم معناها كعوام المسلمين، ومن لا يفهم العربية.

الثاني: إيمان مفصل، وهذا من فروض الكفاية، وهو خاص بكل من قام عنده الدليل، وظهر له معناه .

ومقتضى الإيمان بالنصوص الشرعية الذي كان عليه السلف هو :الاستسلام والخضوع والانقياد قال تعالى : ” **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**“ النساء : ٦٥ .



وحقيقة هذا الاستسلام: تعظيم أمر الله سبحانه ونهيه والإذعان لهما، والوقوف عند حدود ما أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : **” ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ”** الحج 32

ولقد أكد السلف رحمهم الله على تعظيم النصوص، والوقوف عند حدودها، وعدم معارضتها، وسطروا في ذلك أروع الأمثلة ، وأصدق الصفات، وأدق العبارات
قال سفيان الثوري **”إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل.”**

وقال ابن تيمية : **” فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان : أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده .**
فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البيّنات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم“



2-حجية السنة (المتواترة والآحاد) في العقيدة :

اهتم سلف هذه الأمة بالسنة النبوية اهتماماً بالغاً، وعدّوها حجة بنفسها في جميع مسائل الدين: العلمية والعملية، والأرجح من أقوال أهل العلم هو عدم التفريق بين السنة المتواترة والآحادية في الاستدلال على مسائل العقيدة والاحتجاج بها. وهذا مبني عندهم على أسس، منها:

أولاً :- أن اتباع السنة هو من أعظم ما يقتضيه الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ.

ثانياً :- أن الرسول ﷺ أعلم الخلق بالله، وهو المبلّغ عنه دينه الذي ارتضاه للناس، وهو مؤتمن على وحي الله، فالحجة قائمة فيما يبلغه كله.

ثالثاً :- أن الرسول ﷺ بلغ جميع الدين ولم يكتم منه شيئاً، وأنه بلغه أتم بلاغ وأبينه، فالتفريق بين أنواع سنته ﷺ لا يصلح أن يؤثر في الاحتجاج بها، اللهم إلا في باب الترجيح في حالة التعارض الظاهري بين النصوص.



قال ابن عبد البر : (وأما أصول العلم : فالكتاب والسنة).
وتنقسم السنة إلى قسمين :

أحدهما: إجماع تناقله الكافة عن الكافة . فهذا من الحجج القاطعة للأعدار :
إذا لم يوجد هناك خلاف ومن رد إجماعهم : فقد رد نصاً من نصوص الله ، يجب استتابته عليه وإراقة دمه إن لم يتب ، لخروجه عما أجمع عليه المسلمون وسلوكه غير سبيل جميعهم .

والضرب الثاني: من السنة : خبر الأحاد الثققات الأثبات ، المتصل الإسناد ، فهذا يوجب العمل به عند جماعة علماء الأمة الذي هم الحجة والقدوة .



3-الالتزام بالكتاب والسنة لفظاً ومعنى :

وذلك باستعمال الألفاظ الواضحة الواردة في النصوص، دون الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل، كألفاظ الفلاسفة والمتكلمين المتأثرين بهم، فلم يؤثر عن السلف استعمال مثل تلك الألفاظ التي عدوها من الألفاظ المحدثه الغريبة عن ألفاظ الوحي

4-ترك التأويل المذموم لنصوص الكتاب والسنة المتعلقة بالعقيدة:

وسبب ذلك هو عدم جواز صرف نصوص العقيدة عن ظاهرها بغير دليل شرعي ثابت عن المعصوم عليه السلام، بل يجب اتباع المحكم وردّ المتشابه إليه.

عدم التفريق بين الكتاب والسنة في الاستدلال:

فالكتاب والسنة وحي من الله، والقبول لهما واجب على حدّ سواء، قال تعالى: **وَمَا يَنْطِقُ**

عَنْ الْهَوَى (3) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)[[النجم: ٣ – ٤ قال الرسول صلى الله عليه وآله: " ألا إني

أوتيتُ القرآن ومثله معه ."

وقال صلى الله عليه وآله " لا ألفين أحدكم متكأ على أريكته ، يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول

لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله ، اتبعناه ."



5- أن قطعيات العلم والعقل لا تعارض قطعيات الشرع:

فإذا وُجد تعارض : فإذا كان النص الشرعي قطعي الدلالة والثبوت كان ما يعارضه باطلاً لا محالة؛ لأن مما أثر عن أئمة السلف وعلمائهم : أن العقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح الثابت.

6- صحة فهم النصوص :

فصحة فهم النصوص ركيزة أساسية لصحة الاستدلال، ولا يستطيع المرء معرفة مراد الله تعالى، ومراد رسول ﷺ إلا حينما يستقيم فهمه لدلائل الكتاب والسنة، وخاصة في هذا العصر الذي كثر فيه المتحدثون في أمور الدين عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ كالفصائيات والإنترنت، فالمعرفة بهذه القواعد الأساسية التي يركز عليها الفهم الصحيح تمكن من تمييز المتحدثين يحق من المنحرفين عن الفهم الصحيح.

وركائز الفهم الصحيح للنصوص كثيرة، منها:

أ- الاعتماد على فهم الصحابة:

لدلائل الكتاب والسنة لكون الرسول ﷺ بين أظهرهم، كما عايشوا نزول الوحي؛ فهم أعلم الناس بمراد الله ومراد رسوله ﷺ. وهذا الأمر يتأكد خاصة إذا كثرت البدع والأهواء، قال رسول الله ﷺ : " فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ."



ب - معرفة اللغة العربية وأساليب العرب في كلامهم .

نزل الوحي بلسان العرب، ويكون فهم دلائله على الوجه الصحيح بمعرفة لغة العرب التي نزل بها، والتي خاطب بها الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه . ولهذا اعتنى سلف الأمة وعلماؤها بلغة القرآن حتى يوضع خطاب الشارع في موضعه اللائق به . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق : أن يتعلموا السنة والفرائض والنحو كما يتعلم القرآن

ج- جمع النصوص الواردة في المسألة الواحدة،

النصوص الثابتة تأتلف ولا تختلف لأنها خرجت من مشكاة واحدة، فلا يجوز أن يؤخذ نص ويترك نص آخر في الباب نفسه، والصواب أن تجمع النصوص بأي من طرق الجمع المذكورة عند علماء الأصول، ثم يؤخذ بها جميعاً .
ومن طرق الجمع بين النصوص : حمل العام على الخاص، والمطلق على المقيد، وردّ المجمل إلى المفصل، والمتشابه إلى المحكم.





بِسْمِ اللَّهِ
بِحَمْدِ اللَّهِ

